

العنوان:	طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الاندلسي : دراسة سردية
المؤلف الرئيسي:	كساب، إنصاف إبراهيم
مؤلفين آخرين:	الصالح، عزمي محمد شفيقة(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2014
موقع:	جرش
الصفحات:	1 - 107
رقم MD:	790241
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة جرش
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الأردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الاندلسي، السرد الأدبي، النقد الأدبي
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/790241">http://search.mandumah.com/Record/790241</a>

لإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

كساب، إنصاف إبراهيم، و الصالحي، عزمي محمد شفيق. (2014). طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الاندلسي: دراسة سردية (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة جرش، جرش. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/790241>

إسلوب MLA

كساب، إنصاف إبراهيم، و عزمي محمد شفيق الصالحي. "طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الاندلسي: دراسة سردية" رسالة ماجستير. جامعة جرش، جرش، 2014. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/790241>

الفصل الأول  
التعريف بطوق الحمامة في الألفه والألاف  
وبمؤلفه ابن حزم الأندلسي

بسم الله الرحمن الرحيم

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل بينكم مودة ورحمة أن  
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)<sup>(١)</sup> صدق الله العظيم

فالحب (المودة) الذي جاء في القرآن الكريم مقترناً بالرحمة، نفحة سماوية  
عطرة تفعم أجواء النفوس بكل ما رقّ ولذّ وطاب، فهو عاطفة جياشة في  
الصدر، وما قصص الحب التي فاح أريجها، على امتداد العصور، في أرجاء  
الكون إلا انعكاس لما في النفوس من آهات وأوجاع أو سعادة وصفاء.

ان الكتب الأدبية، عربية وأجنبية، تعج بقصص الحب المختلفة التي تمثل  
الواقع الاجتماعي والنفسي، بكل صدق وموضوعية، لمن عاشوا في غمار  
أحداثها، وذاقوا من كؤوسها.

وقد حفلت المصادر العربية بالقصص والأخبار وبأسماء كثيرة ممن  
عقدت علاقات الحب الخالدة بينهم. وعني بعض هذه المصادر بصفات الحب  
وأحواله ومراتبه، وذكر كثيراً منها، مما ورد في الأدب العربي شعره ونثره، من  
جميل القول وصادقه في الحب والحبيب وما بينهما من مواجد وأحوال. ومن ذلك

---

(١) القرآن الكريم، سورة الروم، الجزء (٢١)، آية ٢١.

ما عقده أبو منصور الثعالبي في كتابه "فقه اللغة وسر العربية" من فصل في مراتب الحب وتفصيل حالاته، إذ جاء فيه: "أول مراتب الحب الهوى ثم العلاقة، وهي الحب اللازم للقلب، ثم الكلف وهو شدة الحب، ثم العشق، وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب، ثم الشغف وهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها، وكذلك اللوعة واللاهج... ثم الهوى وهو الهوى الباطن، ثم التتيم، وهو أن يستعبده الحب، ثم التبتل وهو أن يسقمه الهوى، ثم التدليه، ثم الهيوم"<sup>(١)</sup>.

وتعج كتب التاريخ أيضاً بالقصص والحكايات والأخبار التي تتحدث عن الحب والمتحابين وما جرى بينهم، حتى أن بعض هذه الكتب أخلص تأليفه لهذا الغرض فقد ألف في هذا الميدان كتب كثيرة لها قيمتها التاريخية والأدبية، ومن أهمها كتاب (الزهرة) لمحمد بن داود الأصبهاني الظاهري الذي توفي سنة (٢٩٧هـ)، ثم كتاب (طوق الحمامة في الألفة والآلاف) لابن حزم الظاهري الذي كتبه ما بين سنتي (٤١٧-٤١٨) في شاطبة، ثم كتاب (مصارع العشاق) لابن السراج الذي تم تأليفه سنة ٤٩٣هـ.

---

(١) الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، المجلس الوطني للغة والثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٨، ص ٢٩١-٢٩٢.

إن الدارسين لعاطفة الحب قد أفاضوا في الحديث عن الحب وأسمائه ودرجاته وصفاته وأصنافه وأشكاله ومظاهره، تبعاً لاختلاف النفوس والتجارب والأمصار والعصور.

وستعنى هذه الدراسة بكتاب فريد يعد من أشهر كتب العشق، وهو كتاب "طوق الحمامة في الألفة والآلاف" لابن حزم الأندلسي الفقيه الظاهري .

### **التعريف بابن حزم صاحب (طوق الحمامة):**

ولد صاحب طوق الحمامة: أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، في ليلة الفطر سنة ٣٨٤هـ، في منية المغيرة، وهي ضاحية على الشرق من قرطبة<sup>(١)</sup>، وكان أبوه وزيراً يرجع أصله إلى أسرة قوطية.

كان ابن حزم حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستتباً الأحكام من الكتاب والسنة، وكان شافعي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر<sup>(٢)</sup>، وأصبح أهم أعلام الظاهرية<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر الحميدي، عبد الله بن محمد بن أبي نصر الأزدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨، ص ٣٠٩.

(٢) انظر ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، (د.ت).

(٣) الظاهريه : خامس مذاهب أهل السنه ، ويسمى أتباعه الخوامس ويؤمن بظاهر النصوص.

عاش ابن حزم زاهداً في الدنيا، فقد انصرف إلى العلم والتأليف، روي عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمئة مجلد، تشتمل على قريب من ثلاثين ألف ورقة، فقد برع في كل العلوم، فكان حامل فنون من حديث وفقه وجدلٍ ونسب وأدب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة في الفلسفة والمنطق<sup>(١)</sup>.

### **نشأة ابن حزم الأندلسي وطفولته:**

نشأ ابن حزم في أسرة عريقة بالإسلام، إذ كان أبوه وزيراً في الدولة العامرية للمنصور بن أبي عامر ولابنه المظفر<sup>(٢)</sup>.

أمضى ابن حزم طفولة ناعمة بين الجواري في القصر، وشهد مجالس الأمراء والوزراء مع أبيه يسمع الأخبار والأشعار التي نمت ذوقه وأغنت فكره. وبدأ اهتمامه بالعلم منذ طفولته، فقد تلقى علومه الأولى على أيدي الجواري، فقرأ القرآن الكريم وروى الشعر<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج٤، ص ٢٥٤.

(٢) انظر الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٣٠٨.

(٣) انظر ابن حزم الأندلسي، أبي محمد علي بن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألف، تحقيق احسان عباس، ٢٠٠٨، وزارة الثقافة، عمان -الأردن، ص ١٦٦.

ويبدو أن البيئة النسوية التي عاش فيها ابن حزم أكسبته معرفة بأحوال النساء وأسرارهن، كما فتحت له المجال ليعيش تجربة عاطفية فتحت قلبه الغض على العشق.

هذه البيئة النسوية أمدته بالكثير من قصص العشق، وأطلعته على العديد من أحواله، وأكسبته رقة المزاج والمشاعر، وبعد أن وصل ابن حزم إلى سن الخامسة عشرة بدأت مرحلة جديدة من حياته، وهي مرحلة التحصيل والعلم خارج البيت، إذ بدأ بارتياح مجالس العلماء. لكن الظروف لم تترك لابن حزم أن يتفرغ إلى العلم الذي أخذ على نفسه تحصيله تفرغاً تاماً، إذ دفعته هذه الظروف إلى الخوض في غمار السياسة، ثم كان أن قبض عليه لولائه للأمويين، وسجن في المرية، ثم نفي منها، بعد ذلك ذهب إلى حصن القصر، منتقلاً إلى بلنسية، ليكون في نصرة الأمير الأموي عبد الرحمن الرابع الملقب بالمرتضى الذي فشلت حركته، وصار أنصاره بين قتيل ومعتقل. وكان الاعتقال من نصيب ابن حزم، إذ قبض عليه صاحب غرناطة فسجنه حيناً ثم أطلق سراحه، فوافته الفرصة واستأنف حياته العلمية والأدبية حيناً. ثم حدث أن بويع لأموي جديد محب للمفكرين والأدباء، هو المستنصر الذي جعل ابن حزم وزيراً له، ولكن المستنصر سقط وقام المستكفي مكانه، فسجن ابن حزم وظل سجيناً إلى سقوط المستكفي.



وعلى الرغم من كل هذه الفوضى والاعتقال والأسر والنفي وما لقي خلالها من المرارة والعنت، ظل ابن حزم تواقاً إلى المعرفة والانصراف للعلم، فهاجر إلى شاطبة وهناك عكف على الدرس والتأليف، فكتب "طوق الحمامة" ما بين سنتي (٤١٧-٤١٨<sup>(١)</sup>) وبعد سقوط الخلافة الأموية لم يعد هناك ما يشغل ابن حزم عن العلم، فأصبحت حياته خالصة للعلم ونشره بين الناس، ونشر المذهب الظاهري الذي تحول إليه وآمن به، وناجح عنه طيلة حياته، "وانحرف عن مذهب غيره، حتى وسم به ونسب إليه، فكان يحمل علمه ويجادل فيه حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فتمالأوا على بغضه وأجمعوا على تضليله فانتهى به الأمر إلى بادية (لبله) وبها توفي رحمه الله سنة ٤٥٦هـ"<sup>(٢)</sup>.

### نشأة ابن حزم الفكرية ومؤلفاته:

من أشهر مؤلفات ابن حزم ما كتبه في الأدب والتاريخ، وعلى رأسها (طوق الحمامة في الألفة والألاف) وقد ترجم إلى أكثر من لغة، منها :

١- الإنكليزية ترجمة نيكول في باريس سنة ١٩٣١

٢- الروسية ترجمة كراتشكوفسكي طبعت في موسكو وليننجراد سنة ١٩٣٣

٣- الألمانية ترجمة فايسفايلر نشرت في ليدن سنة ١٩٤١<sup>(٣)</sup>

---

(١) انظر ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق إحسان عباس، وزارة الثقافة عمان - الأردن، ٢٠٠٨ ص ٣٨.

(٢) ابن بسام، أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الأول، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٣) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، القسم الرابع الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٣، ص ١٠٥.

أيضاً له رسالة في فضل الأندلس: ألفها لصديقه أبي بكر محمد ابن اسحق، رداً للمحسن ابن محمد القيرواني، نعى فيها على أهل الأندلس عدم اهتمامهم بتاريخ علمائهم.

**(ونقط العروس في تاريخ الخلفاء)**، ونشره زيبولد اعتماداً على مخطوط ميونخ. وجمهرة النسب (أنساب العرب)، وأيضاً (أنساب البربر).

كما له أيضاً كتب في الفقه، ومنها:

كتاب الإحكام في أصول الأحكام.

وله كتاب **(المحلى في الفقه)**، ألفه على مذهب الشافعية قبل تحوله إلى المذهب الظاهري.

وكتاب **(إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعديل)**، وكتاب **(الإيصال إلى فهم الخصال)**، له مختصر أعده ابنه أبو رافع. وله كتب في العقائد والجدل:

كتاب **(الفصل في الملل والأهواء والنحل)**: طبع في القاهرة في خمسة مجلدات.

وله كتب في علوم القرآن والحديث، منها: كتاب الناسخ والمنسوخ، وأسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد منهم من الأحاديث. وله كتب في الزهد وعلم الأخلاق، ومنها: رسالة مداواة

النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل. وله كتب في الفلسفة منها: رسالة في مراتب العلوم<sup>(١)</sup>.

### **التعريف بطوق الحمامة في الألفه والآلاف:**

يقع كتاب طوق الحمامة في مجلد واحد يحوي (٤٥٤) صفحة مع الفهارس، وقد أصدر المستشرق بتروف طبعة من كتاب طوق الحمامة (١٩١٤) اعتماداً على النسخة المحفوظة في ليدن بهولندا ثم توالى بعد ذلك الكثير من الطباعات التي اعتمدت على طبعة بتروف ومن أهمها طبعة لليون برشيه (١٩٤٩)، وطبعة بتحقيق حسن كامل الصيرفي (١٩٥٠)، وطبعة بتحقيق فاروق سعد (١٩٦٨)، وطبعة بتحقيق الدكتور الطاهر أحمد مكي (١٩٧٧)، وطبعة بتحقيق الدكتور احسان عباس (١٩٨٠)، والتي اعتمدت عليها في دراستي للطوق أكثر من باقي الطباعات لوضوحها ومرونتها<sup>(٢)</sup>.

تدور موضوعات الكتاب حول طبائع البشر وعاداتهم في الحب، وحول حالات المحبين، من خلال عرض قصصهم وحكاياتهم، مع تضمينها ما يناسبها مما ورد في القرآن الكريم من العظات والإشارات أو ما يعجب به من الأشعار، فمن بين هذه الحالات ما يخص ابن حزم نفسه. ومن ثم فإنه يمكن أن يعد الطوق سيره

---

(١) انظر بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، القسم الرابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ١١١-١٠٥.

(٢) انظر ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفه والآلاف، تحقيق إحسان عباس، وزارة الثقافة، عمان - الأردن، ٢٠٠٨، ص ٢٠.

ذاتية لصاحبه، فابن حزم لم يتحرج من ذكر الأخبار والقصص التي تتضمن أخبار علاقاته مع المحبوبات التي مرت به، ليأخذ من قرأها أو سمعها العبرة منها.

### **تاريخ تأليف الطوق ودوافعه:**

بالرغم من قسوة الظروف التي مر بها ابن حزم، من سجن ونفي وأسر، لم ينصرف عن العلم والتأليف وعندما استوطن شاطبة عام ٤١٧هـ، ألف كتابه "طوق الحمامة في الألفة والآلاف" أما السبب في تأليف الكتاب فقد أورده في صدر رسالته في باب ماهية الحب، إذ أنه جاء تسليّة لصديق ذي ودّ صحيح لابن حزم، فكتب إليه يسأله في كتاب زادت معانيه على ما في سائر كتبه من قبل، يسأله رأيه في هذا الذي نشب فيه، ويتحدث إليه بحديث الحب في صفته ومعانيه وأسبابه<sup>(١)</sup>.

ان ابن حزم، في أحاديثه العاطفية، اعتمد على التجربة الذاتية، والملاحظة والتحليل النفسي، لاستخلاص النتائج، ويظهر ذلك كقوله أنه أحبّ جارية شقراء الشعر ولم يستحسن بعدها سوداء الشعر، أيضاً ما أورده في باب الوصل عندما قال انه ما روي من ماء الوصل قط الا وازداد ضمّاً ، وكذلك قوله في باب الهجر أنه امتحن الهجر والوصل فكان في الوصل أشدّ من الحديد وأنفذ من

---

(١) انظر ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، تحقيق احسان عباس ، ص ٨٤-٨٦.

السيف أما في الهجر فكان أذلّ من الرداء وألين من القطن (١). فكان في منهجه هذا نوعٌ من الجدة والابتكار، وهذا ما ميّزه عن سابقه من مؤلفي كتب الحب.

ولقد أثر ابن حزم أن يأخذ بما شاهده أو سمعه عن الثقات من قصص عصره، وهذا ما أكسب كتابه الموضوعية والمصداقية، وجعله بعيداً عن الأساطير والخرافات، فهو يحاكي المشاعر، ويتعمق بها ويعالجها ويتحدث بصوتها، فيخفف من معاناة العشاق، وهذا ما ميز الطوق عن غيره من الكتب التي تدور حول هذا الموضوع

أما الدكتور طه حسين، في مقال له بعنوان "مقال في الحب" كتبه سنة ١٩٤٦ فلا يكتفي بتسويغات ابن حزم، لبيان سبب التأليف، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، وتحديدًا إلى عصر ابن حزم ومجتمعه، فهو يقول: "والظاهر أن الحب كان رائجاً في إسبانيا المسلمة أيام ابن حزم، وليس أدل على ذلك من أن هذا المحدث الفقيه المتكلم الفيلسوف المنفي من أرض وطنه، قد فرغ لكتابة رسالة فنية، وهو لم يفرغ لكتابة هذه الرسالة إلا لأن صديقاً من أصدقائه الفقهاء المحدثين المتأدبين قد طلب إليه أن يكتب هذه الرسالة، فلولا أن الأمر له شيء

من مضطر لما طلب هذا الفقيه المحدث الأديب إلى ابن حزم أن يفرغ له ويكتب فيه<sup>(١)</sup>.

فطه حسين يرى أن الحب قد شغل ابن حزم في حياته كلها، كما شغله الفقه والتفسير والحديث والكلام. ومن خلال قراءة الكتاب يلاحظ أن الحب لم يشغله وحده وإنما شغل الناس جميعاً في الأندلس، ليس المهم في الأمر ما إذا كان الدافع لتأليف الطوق رغبةً من صديق أم رغبةً من ابن حزم نفسه، المهم أن قيمة الكتاب أكبر من كونه كتاباً اشتمل على أفكار تناولت الحب بشتى جوانبه، وإنما ما اشتمل عليه أيضاً من حكايات وقصص كثيرة قدمت لفئة جميلة للمرأة الأندلسية وما هي عليه من الوفاء والحب للزوج حتى بعد وفاته.

ومن خلال هذه الحكايات، يكشف ابن حزم عن الكثير من جوانب الحياة الأندلسية. كما يحمل الكتاب قيمة أخرى تتمثل في أنه يكشف عن جانب كبير من حياة ابن حزم الخاصة، فالطوق كان مرآة عكست ما عاناه ابن حزم وما عاشه وما تمناه طيلة حياته. ومن ذلك قوله في باب السلو: "وعني أخبرك أنني جبلت على طبيعتين لا يهنأني معهما عيش أبداً: وفاء لا يشوبه تلون، وعزّة نفس لا تقرّ على الضيم"<sup>(٢)</sup>. وأيضاً حديثه عن معاناته عندما نعي إليه خبر من يحب.

---

(١) انظر حسين، طه، مقال في الحب، نشر في مجلة الكاتب المصري، مجلد ٢، عدد فبراير سنة ١٩٤٦.

(٢) انظر ابن حزم الاندلسي، طوق الحمامة، إحسان عباس، ص ٢٥٦.

ومن ذلك ما ذكره ابن حزم عن نشأته وطفولته، فقال: "ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنني ربيت في حورهن ونشأت بين أيديهن"<sup>(١)</sup>.

فالطوق يصور هنا جانباً من حياة ابن حزم، يتصل بطفولته ونشأته ومصادر ثقافته وعلى يد من تربى وتعلم.

### **دلالة العنوان (طوق الحمامة في الألفه والآلاف):**

بدأ عنوان الكتاب بكلمة الطوق والذي يحمل معنى الدوام والجمال والزينة، فالطوق: حلي يجعل في العنق، وكل شيء استدار فهو طوق، تطوّق الرّحى فالطوق ما استدار بالشيء والجمع أطواق<sup>(٢)</sup>.

فالباحثة ترى من وجهة نظرها أنه بما أن الطوق حلية وزينة تجميل لابسيها، فكذلك هو الحب يحلي ويجميل أرواح العشاق ونفسياتهم، فالطوق والحب مبعث للجمال، فالعنوان يوحي بأن هذا الحب هو كالطوق في أعناق المحبين ملازم لهم لا يبرح قلوبهم فحالهم كحال الحمامة وما طوقت به، لا يمكنهم التخلي عن حبهم ونزعه عنوة من قلوبهم، كذلك الحمامة لا يمكنها إزالة طوقها.

---

(١) ابن حزم، طوق الحمامة، إحسان عباس، ص ١٦٦.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم، لسان العرب، المجلد العاشر، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ص ٢٣١، مادة (طوق).

فالعنوان يحمل طاقة إيحائية، تفتح الباب للتأويل والتحليل، فالحمامة تمثل الكائن البريِّ الرقيق الذي يوحي بمشاعر التعاطف والسلام وهي لطالما كانت رسولاً للمحبين، كما أنها طائرٌ حرٌّ يرفض كل قيد<sup>(١)</sup>، والطوق سمة جمالية وحصار من الألفة والاحتواء.

فالعنوان جاء مكوناً من عتبة رئيسية (طوق الحمامة) وعنوان شاح ومفصل أكثر (في الألفة والألف)، فالعنوان لم يكن مجرد زخرف أو زينة للنص إنما وسيلة نستشرف من خلاله عالم النص ومضمونه ويقلص المسافة بين النص والقارئ<sup>(٢)</sup>.

## **أبواب الرسالة:**

قسم ابن حزم الكتاب إلى ثلاثين باباً: عشرة منها في أصول الحب واثنان عشر باباً في أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة، وستة أبواب في الآفات الداخلة إلى الحب، وبابٌ في قبح المعصية والباب الأخير في فضل التعفف.

---

(١) منصور، آمال، تمثيلات المرأة في طوق الحمامة لابن حزم: مقارنة ثقافية في خطاب العشق، المؤتمر النقدي السابع عشر، جامعة جرش، ٢٠١٤، ص ٦.

(٢) د. فريبير، محمد، سلطة العشق وسطوة السحر، مجلة دراسات أندلسية، ٢٠١٢، عدد خاص، ص ١٠٣-١٠٨.



وأول هذه الأبواب يكرّس للبحث عن ماهية الحب "أوله هزلّ وآخره جد، دقت معانيه لجلالته عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة وليس بمنكر في الديانة ولا بمحذور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل" (١).

ابتدأ ابن حزم حديثه عن الحب بتعريفه وبيان موقف الشرع منه، حيث بين أن القلوب بيد الله عز وجل يسيرها كيفما يشاء. ثم تحدث عن علامات الحب في الباب الثاني: "يقفوها الفطن ويهتدي إليها الذكي، منها إيمان النظر، ومنها الإقبال بالحديث والإنصات لحديثه إذ حدّث" إلى آخره من العلامات.

ثم باب من أحب في النوم، فهو عند ابن حزم من باب التمني وتخيل الفكر وحديث النفس وأضغاثها.

ثم باب من أحب بالوصف دون المعاينة فهو "بنيانٍ هارٍ على غير أسس" (٢).  
ثم باب من أحب من نظرة واحدة ثم باب من لا يحب إلا بالمطاوله وكثير المشاهدة.

ثم باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها.  
ثم باب التعريض بالقول "إما بإنشاء شعرٍ، أو بإرسال مثل، أو تعمية بيت أو طرح لغز أو تسليط كلام" (٣).

---

(١) ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، تحقيق إحسان عباس، ص ٩٠.

(٢) ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، تحقيق إحسان عباس، ٢٠٠٨، ص ١١٧.

ثم باب الإشارة بالعين والذي يأتي بعد التعريض بالقول إذا وقع القبول والموافقة.  
ثم باب المراسلة، ومنها المراسلة بالكتب وينبغي أن يكون شكل الكتاب ألطف  
الكتب.

ثم باب السفير، ويأتي إرسال السفير بعد حلول الثقة ويجب تخيره واستجادته.  
ثم باب طي السر وهو الكتمان باللسان والتصنع بإظهار الصبر.  
ثم باب الإذاعة وهو كشف غلبة الحب على الحياء.  
ثم باب الطاعة وهو طاعة المحب لمحبيه وصرفه قصراً طباعه إلى طباع من  
يجبه.

ثم باب المخالفة وفيها يتبع المحب شهوته ويبلغ شفاءه من محبيه.  
ثم باب العاذل، وذكر فيه آفات الحب وأولها العاذل، والعدال أقسام:  
العاذل الصديق الذي هو بين الحض والنهي، والعاذل الزاجر كثير الملامة.  
ثم باب المساعد من الأخوان، وهو من الأسباب المتمناة في الحب وجود صديق  
مخلص.

ثم باب الرقيب، وهو ثاني آفات الحب وهم أقسام: منهم رقيب مثقل الجلوس ورقيب  
أحسن من أمرهما بطرف ورقيب على المحبوب.  
ثم باب الواشي وهو أيضاً من آفات الحب، إما يريد القطع بين المتحابين فقط وإما  
يسعى للقطع بين متحابين ليفرد بالمحبوب ويستأثر به.

---

(١) ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، تحقيق إحسان عباس، ٢٠٠٨، ص ١٣٤.

ثم باب الوصل وهو الصفاء الذي لا كدر فيه وأجمل معانيه المواعيد الذي يقسم إلى الوعد بالزيارة والآخر انتظار الوعد بالزيارة.

ثم باب الهجر، وهو أيضاً من آفات الحب التي تسبب الحزن والسقم.

ثم باب الوفاء، وهو من حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق في الحب.

ثم باب الغدر، وهو من ذميم الصفات ومكروهاها.

ثم باب البين، وهو إما بين منع من اللقاء، أو بين مدة يوقن بانصرامها والعودة.

ثم باب القنوع، فلا بد للمحب إذا حرم الوصل من القنوع بما يجد.

ثم باب الضنى، وهو السقم والنحول إما لقلة الوصل أو البين أو الهجر.

ثم باب السلو، وهو إما أن يكون نسيان طبيعي أو سلو طبيعي أو سلو تطبعي،

وهو قهر النفس المسمى بالتصبر والجلد، ويظهر نقيض ما يشعر به.

ثم باب الموت الذي يحدث نتيجة لتزايد أمر المحب سوءا من الهجر والقهر والبين

والسقم.

ثم باب قبح المعصية ويجري الحديث فيه عن المحب الذي يتبع نفسه ويعصي عقله

ويتبع هواه.

وأخيراً باب فضل التعفف، وهو أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه ويبتعد عن

الفاحشة والمعصية.

## الحب في طوق الحمامة:

إن ما يميز الكتاب أنه لم يتطرق للحب لإثارة الغرائز والشهوات، وإنما لتقديم النصيح والعبر للمحبين، وتتوزع هذه النصائح بين أبوابه، فمثلاً في باب (من أحب في النوم) يرى أن هذا الحب لا فائدة فيه، لأنه يجلب الهم والسقم، فصاحبه يتعلق بأحبال من الوهم لا تأتي بأي فائدة فهي مضيعة للوقت.

ومن أبرز الملاحظات التي تظهر في الطوق، ما يتجلى به ابن حزم من آراء في الحب سبقته: فجذور الحب وأسراره تمتد بعيد في الفكر الإنساني فمن قديم ما يذكر محاوره أفلاطون والمؤدبة<sup>(١)</sup>.

حوار المأدبة يدور حول موضوع الحب أو العشق على نحو غير حوارى في البداية، إذ يتوالى على الحديث في الموضوع خمسة من المتحادثين على صورة مقام اجتمعوا في بيت أحدهم، لكي لا يستسلموا لنوبة من الشرب، بعد الانتهاء من الطعام، تناوبوا الحديث واحداً بعد الآخر، وعرض كل واحد منهم وجهة نظره في الحب، فلما جاء دور سقراط انتقد الطريقة الخطابية التي عالجوا بها الموضوع، وتحول إلى طريقته المفضلة وهي الحوار المتنامي الذي يستحث فيه محاوره على الالتزام بحدود واضحة، فانتقل سقراط يقص حواراً جرى بينه وبين امرأة اسمها ديوتيميا عارفة في فنون الحب وعندما انتهى سقراط من عرض آراء تلك المرأة دخل الفيياوس مع جمع من السكارى، وكان دوره أن يبين ميزات سقراط، وخاصة في الحب، وبعد ذلك جاء جمع آخر من السكارى، وكثر

---

(١) انظر ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، تحقيق احسان عباس، ٢٠٠٨، ص ٢٤.

الضجيج وانفضت الجلسة. هذا هو الإطار العام لحوار المأدبة، وهناك مجلس آخر وحوار آخر هو ما جرى في مجلس يحيى بن خالد البرمكي الذي كان يحضره عدداً من أهل البحث والنظر مثل أبي الهذيل العلاف وهشام بن الحكم والنظام وبشر بن المعتمد وثمامة بن أشرس، وآخرين فكان عدد المتحدثين ثلاثة عشر، تناول كل منهم العشق بحسب تصوره له بصورة موجزة.

وهناك نظرات راجت في المشرق قبل ابن حزم واطلع عليها ابن حزم فيما بعد، وكان أهمها ما قرأه في كتاب الزهرة لابن داود الأصبهاني، وهو ظاهري المذهب، فقد جاء في الزهرة "إن الله عز وجل خلق كل روح مدورة الشكل على هيئة كرة، ثم قطعها فجعل في كل جسد نصفاً، وكل جسد لقي الجسد الذي منه النصف الذي قطع من النصف الذي معه، كان بينهما عشق للمناسبة القديمة، وتتفاوت أحوال الناس في ذلك على حسب رقة طباعتهم". ما يستوقفنا في الأمر هو فكرة الأكر التي انقسمت فهذا القول يشير إلى حوار المأدبة الذي يعد مصدر هذه الفكرة<sup>(١)</sup>.

وفي هذا المقام لا بد من الإشارة إلى إخوان الصفا، الذين رأوا أن النفوس تتفاوت في المحبة بين نفس شهوانية و نفس حيوانية وثالثية ملكية وناطقية، وأن في جبلة النفوس

---

(١) انظر طوق الحمامة، تحقيق احسان عباس، ٢٠٠٨، ص ٢٣-٣٥.  
الأكر: فكرة فلسفية اطلع عليها ابن حزم في كتاب الزهرة للأصبهاني والتي تقوم على أن الارواح خلقت مدورة الشكل على هيئة كرة ثم قطعت فجعل في كل جسد نصفاً  
(٢) النظره الأفلاطونية نسبه الى حوار المؤدبة لأفلاطون الذي كان معروفا في القرن الثالث الهجري.

محبة البقاء السرمدي، وتحدثوا عن تدرج النفس من المادي إلى الروحاني. والنفس الجزئية تشاق للنفس الكلية، والنفس الكلية تشبه الباري تعبدا واشتياقا إليه، ولذلك كان المعشوق الأول هو الله الذي تشاق إليه كل المخلوقات والموجودات.

وقد تحول إخوان الصفا إلى نظرة أفلاطونية واضحة(٢) فليس ببعيد أن تكون المأدبة هي مصدر تلك التصورات عن الحب ولكنها وأشباها تمثل المصدر الفلسفي الذي يوازي المصدر الطبي فابن داوود كان يرى أن الحب سبب العلة والسقم واحتراق القلب

أدب الاعتراف أو ما يمكن عده من السيرة الذاتية، فقد كشف عن بعض الجوانب النفسية والشخصية دون تحرج، ويظهر ذلك في باب (من استحسن صفة لم يستحسن غيرها)<sup>(١)</sup> فهو يشير إلى تجربته ذاتيه تتمثل في أنه أحب في صباه جارية شقراء الشعر، فما استحسن بعدها سوداء الشعر، ويظهر جلياً أن ابن حزم كان صريحاً في كشف أحاسيسه وكل ما يخالجه نفسه من مشاعر، ويفرغها في الطوق، الذي جاء حافلاً بكل خلجات الحب ومشاعر الشوق كاشفاً عن تجاربه أولاً ثم تجارب غيره.

وفضلاً عما في الطوق من قضايا تتعلق بالحب وأحوال المحبين فإن الدارس يلمس معرفة ابن حزم بالفلسفة وأحوال النفس أو ما يسمى اليوم بالخيال، وكيف أن خيال المحب يضيف على المحبوب كل صفات الكمال والجمال، ويلاحظ ذلك من خلال قول

---

(١) انظر ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، تحقيق إحسان عباس، ٢٠٠٨، ص ١٣٠.

ابن حزم: "إن الذي أفرغ ذهنه في هوى من لم ير لابد له إذ يخلو بفكره أن يمثل لنفسه صورة يتوهمها وعيناً يقيمها نصب ضميره لا تمثيل في هاجسه غيرها، قد مال بوهمه نحوها. فان وقعت المعاينة يوماً فحينئذ إذا يتأكد الأمر أو يبطل بالكلية"<sup>(١)</sup> "جاء ذلك في باب من أحب بالوصف، فالمحب يرسم بخياله، وفي عالم الوهم، أجمل الصور وأبهاها عمن يحب، وقد تبقى وقد تتغير عندما تحصل المشاهدة.

### **المنهج الذي ألف على وفقه الكتاب:**

جاء أسلوب ابن حزم مخالفاً لما هو متعارف عليه عند العرب من استطراد واسترسال وإطناب، فهو لم يأخذ بطريقة المتقدمين لاعتقاده بأن العصر الذي يعيش فيه مختلف بظروفه وأحواله عما سبقه، فيلاحظ اعتماده على الاستنباط والاستقراء (بعيداً عن الاستقصاء العلمي)<sup>(٢)</sup> فجاءت رسائله محملة بالملاحظات النفسية كالتى سبق ذكرها، في باب الوصف، والحديث عن الخيال وكيف أن الصورة المرسومة قد تبقى وقد تزول، بعد حصول المشاهدة.

ويعج الطوق أيضاً بالخبرات المعيشية التي تلمس الواقع، وتعبّر عن شكوى ابن حزم منه، وهذا ما أكسب الطوق أهميته، وجعل دراسته مفيدة، لذا احتل الطوق مكانة، مرموقة في تاريخ الأدب العربي، فقيمة الطوق تكمن في تسليطه الضوء على حياة

---

(١) انظر ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، تحقيق إحسان عباس، ٢٠٠٨، ص ١١٧.

(٢) عبد الواحد، مصطفى، دراسة الحب في الأدب العربي، دار المعارف بمصر، القاهرة، سنة ١٩٧٢، جزء ٢، ص ٢٢٧.

الأندلسيين وهمومهم، بشكل عام، وعلى جوانب من حياة ابن حزم نفسه، فضلاً عن تضمن الطوق شعر ابن حزم ونثره، وقد أوردتها بأسلوب يتسم بالبساطة والبعد عن التكلف والتصنع، وتجنب التعقيد.

وفي ما يأتي مثال لما في شعره من تصوير للمعاناة ومكابدة الشوق، من ذلك قوله في باب الضنى<sup>(١)</sup>:

يقولُ لي الطبيبُ بغيرِ علمٍ	تداوْ فأنتَ يا هذا عليّ
ودائي ليس يدرّيه سوائي	وربّ قادرٍ ملكٌ جليلٌ
أأكتمه ويكشفهُ شهيقٌ	يلازمني وإطراقٌ طويلٌ
ووجهٌ شاهداتُ الحزن فيه	وجسمٌ كالخيالِ ضنٍ نحيلٌ

وتتجلى في هذه الأبيات بساطة الأسلوب وسلاسته وبعده عن التعقيد، فهي تشير إلى حاله وما يعاني من ألم البين وغياب الوصل، وتعكس ما آل إليه من حالة السقم والنحول.

فهذه الأعراض يكشفها الطبيب الحاذق المتمرس، فهي واقعة بسبب الحب ومعاناته. وإنعام النظر في هذا الشعر يظهر أنه مقطوعات قصيرة وليس قصائد مطولة، ومعنى ذلك أن صاحبه شاعر أبيات أو مقطوعات يقولها ليفصح عما يعترضه من مواقف

---

(١) ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، تحقيق إحسان عباس، ٢٠٠٨، ص ٢٤٠.



آنية، وما يعتريه من مشاعر، فابن حزم اتخذ من الشعر، وسيله يثبت بها. جملة من المشاعر النفسية المتصلة بالشعور الإنساني<sup>(١)</sup> لقد التزم ابن حزم في دراسته للحب جانب الحقيقة، فلا يركن إلى الخيال ولا يجنح للتزديد، فقد اقتصر على ما شاهد أو صح عنده بنقل الثقافات لذلك يضرب صفحاً عن أخبار الأعراب والمتقدمين وبذلك يكون ابن حزم قد درس عاطفة الحب دون أن يلقي بالاً للأخبار الحاشدة عن عشاق العرب وأقاويلهم، حتى جانب الشعر فهو يربطه بنفسه ولا يورد لغيره شيئاً إلا مضطراً. كما سيتضح في الفصل الثالث المتعلق بدراسة الطوق في ضوء رسائل العشق الأخرى.

---

(١) إدريس، نجمة عبد الله، مقال طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، خطاب في الأدب أم خطاب في الثقافة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٠٧، العدد ١٢٥، ص ١٦.